عقيدة التثليث

د. محمد دودح
الباحث العلمي

يستند التثليث على فقرة في إنجيل متى الإصحاح ٢٨ العدد ١٩ منسوبة للمسيح عليه السلام: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"، ولكن هذه الفقرة مشكوك في نسبتها للمسيح عليه السلام حيث لم يعرف التثليث في عهده، فالحقيقة أن التثليث عمل المجامع ولا يمكن نسبته إلى المسيح عليه السلام، فهذه الفقرة على أهميتها في تحريف دعوة كل الأنبياء إلى التوحيد لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى المعتمدة في الكنائس حاليا مع أنها تتفق في الاهتمام بتفصيلات أقل أهمية كدخول المسيح إلى أورشليم راكبا جحش، وكل الشواهد تجمع على أن هذه الفقرة مختلقة فضلا على أنها تتحدث عن ثلاث ذوات مختلفة وليس ثالوث أقدس تجمعه ذات واحدة، يقول ويلز: "لا يوجد دليل على أن حواريي المسيح اعتنقوا التثليث"، ويقول أدولف هرنك: "صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها وجود في عصر الرسل..، (وحتى) بولس لا يعلم شيئاً عن هذا"[١]، وبولس هذا هو مضطهد الحواريين الذي لم ير المسيح لكنه زعم ظهوره له وغير في الاعتقاد والتشريع، وإن كان المسيح وليس بولس قد أمر بدعوة الأمم غير اليهود فكيف خالفه الحواريون ولم يخرج بعضهم من فلسطين إلا مضطرين: "وأما الذين تشتتوا من جراء الضيق.. فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكيا وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط" أعمال ١١/١٩، والحواري بطرس يقول: "أوصانا أن نكرز للشعب" أعمال ١٠/٤٢؛ أي لليهود فقط، والزعم بتوجيه الحواريين لدعوة الأمم خارج فلسطين تنقضه شهادة تاريخية كذلك تعود للقرن الثاني تنسب للمؤرخ أبولونيوس: "إني تسلمت من الأقدمين أن المسيح قبل صعوده إلى السماء كان قد أوصى رسله أن لا يبتعدوا كثيراً عن أورشليم"[٢]، وكيف تلتقي تلك الفقرة التي تأمر بدعوة الأمم غير اليهود مع قول المسيح: "لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ" متى ١٥/٢٤.

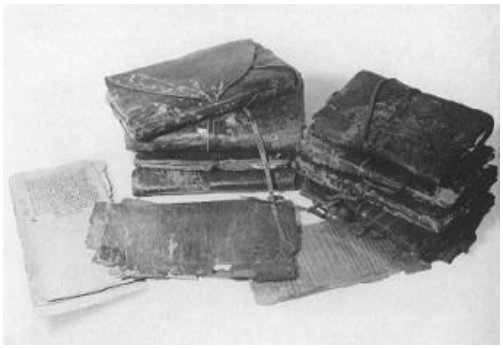

كان الفلاح المصري محمد السمان أول من اكتشف في عام ١٩٤٥ بعض مخطوطات مخبأة بالقرب من نجع حمادي، وقد سميت المجموعة لاحقا بمخطوطات نجع حمادي Nag Hammadi library، وهي تكشف أن التوحيد كان سائدا في القرون الأولى بعد عصر المسيح قبل أن تفرض المجامع التثليث تشبها بالاعتقادات الوثنية وتضطهد فرق التوحيد كالغنوصية Gnosticism، وقد كانت مفاجأة عندما ترجم جايلز جمسبيل أستاذ تاريخ الديانات بجامعة أوتريش الهولندية بداية النص القبطي لإحدى المخطوطات فوجدها تقول: "هذه هي الكلمات السرية التي قالها يسوع الحي ودونها ديديموس جوداس توماس"، وقد اكتشفت مع إنجيل توما Gospel of Thomas أو تحتمس في المصرية القديمة عدة مخطوطات أخرى ترجع كلها للقرون الأولى مثل إنجيل فيليب وإنجيل الحق وإنجيل المصريين إلى جانب بعض كتابات منسوبة للحواريين مثل كتاب جيمس أو يحمس في المصرية ورؤيا بولس وخطاب بطرس إلى فيليب، والكتابات التي وجدت على أوراق البردي المستخدمة في تبطين الأغلفة تؤكد أن تلك المخطوطات قد أخفيت في القرن الرابع، وهي نفس فترة تحول الإمبراطورية الرومانية للتثليث الذي اعتمدته المجامع وأعدمت فيه مراجع التعاليم المخالفة، وإنجيل توما لا يحتوى على روائيات تتسم بالسرد القصصي وإنما يتضمن ١١٤ قولا منسوبة للمسيح جلها في الأناجيل الأربعة المعتمدة في الكنائس حاليا مما يرجح أنه أصل قديم لتلك الأناجيل الروائية الطابع؛ خاصة مع إرجاع هيلموت كويستر أستاذ التاريخ المسيحي بجامعة هارفارد زمن كتابة إنجيل توما إلي منتصف القرن الأول قبل ظهور كل كتابات العهد الجديد اعتمادا على الرأي السائد حاليا وهو أن أناجيل العهد الجديد قد ظهرت متأخرة بين عام ٧٥ ومنتصف القرن الثاني، والمدهش حقا أن المكتشفات القبطية توافق القرآن الكريم في نفي صلب المسيح في رواية الأناجيل الأربعة وتصرح بأن المصلوب شبيه بديل، فقد ورد بإنجيل بطرس على لسانه: "رأيته يبدو وكأنهم يمسكون به وقلت: ما هذا الذي أراه يا سيد؟ هل هو أنت حقا من يأخذون؟.. أم أنهم يدقون.. يدي شخص أخر؟، قال لي..: من يدخلون المسامير في يديه وقدميه هو البديل"، كما ورد في كتاب سيت الأكبر على لسان المسيح قوله: "كان شخصا آخر.. هو الذي شرب المرارة والخل لم أكن أنا..، كان آخر الذي حمل الصليب فوق كتفيه، كان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه"، وعثر في نجع حمادي أيضا على كتاب أعمال يوحنا وقد جاء فيه على لسان المسيح: "لم يحدث لي أي شيء مما يقولون عني"، وتوافق تلك الشواهد رؤية المسيح ومخاطبته حواريه بعد صلب الشبيه البديل وإن فسرت رؤيته بعد ذلك بقيامته من بين

الأموات، واتخاذ الصليب إذن رمزا لتضحية المسيح وتحمل ذنب الأب الأول نيابة عن البشرية جمعاء محض بدعة لا يدعمها وجود صليب في المخطوطات القبطية لأنه ليس أداة الصلب الرومانية وإنما رمز خلود الروح في معتقد المصريين القدماء المسمى "عنخ" إشارة لحياة المسيح لا صلبه وهلاكه، وهكذا بينما تتفق أناجيل العهد الجديد المعتمدة حاليا على صلب المسيح بأمر من بيلاطس الحاكم الروماني لفلسطين لم يرد ذكره في أناجيل نجع حمادي القبطية بل أنكرت صراحة قصة الصلب الروماني[٣].

وقد قام الباحث البريطاني إينوخ باول Enoch Powell حديثا بإعادة ترجمة إنجيل متى من اليونانية فتبين له تكرر بعض الأجزاء مما يعني أن عدة أشخاص قد جمعوها من أكثر من مصدر، وتكرر قصة محاكمة المسيح أمام الكاهن الأكبر لليهود بنفس الكلمات مع انتهاء الرواية الثانية دون الأولى بإعدامه صلبا جعله يستنتج أن قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للترجمة اليونانية التي اعتمدتها الكنائس بعد أن دخلت إليها تعديلات ذات سمة طائفية، وبهذا أثار كتابه تطور الأناجيل Evolution of the Gospel ضجة كبيرة لأنه يؤدي بالضرورة إلى إعادة النظر في قبول روايات الأناجيل الأربعة التي اعتمدتها الكنائس باعتبارها لا تمثل الحقيقة التاريخية للأحداث بقدر ما تحقق أغراضا طائفية كجدل لاهوتي بطريقة الرمز والمجاز، ولا تنقض تلك النتيجة حقيقة المسيح تاريخيا وإنما تطعن في دعوى الشرعية التي استندت عليها الكنيسة الرومانية في سلطتها طويلا ممثلة في البابا باعتباره الكاهن الأكبر وخليفة المسيح.

وقد أخذ التثليث Trinity في التشكل تدريجيا ابتداء من مؤتمر نيقية الأول عام ٣٢٥م للتصويت حول طبيعة النبي عيسى عليه السلام؛ أهو رسول مؤيد بالمعجزات أم أنها لا تصدر عن بشر، حيث اختير برعاية الملك قسطنطين من أصل ١٨٠٠ أسقف ٣١٨ فقط (١٧,٦%) ممن قبلت مقالتهم في أن المسيح عليه السلام (ابن الله) على ظاهر اللفظ لا المجاز، فأصدروا قرارا اعتمد مذهبا دانت به جملة أجيال اتباعا للتقليد غير ملتفتة لأقوال المسيح عليه السلام نفسه، ورأى ١٥٠ أسقفا من بعد في مؤتمر القسطنطينية الأول سنة381م أن يضيفوا (الروح)؛ لتكتمل أطراف معتقد التثليث، أما أقوال المسيح عليه السلام نفسه التي أعلن فيها عبوديته لله تعالى وحده وأنه ليس إلا رسول لله، فمنها ما نقل عنه بشهادة الكتاب نفسه أنه: "قضى الليل كله في الصلاة لله" لوقا ١٢/٦، وأنه: "كان يعتزل في البراري ويصلي" لوقا ١٦/٥، وأنه قال: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" متى ١٠/٤، وقال: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله" يوحنا ١٦/١٣، وعندما سُئِل: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟" متى ٣٦/٢٢، قال: "الرب إلهنا رب واحد" مرقس ٢٩/١٢، وقال: "هذه هي الوصية الأولى والعظمى" متى ٣٨/٢٢، وقال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" متى ١٧/٥، وقد أعلن مرارا أنه ليس إلا رسول لله كسابقيه: "ليعلم العالم أنك أرسلتني" يوحنا ٢٣\١٧، وقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا.. لا أطلب مشيئتي بل مشيئة.. الذي أرسلني" يوحنا ٣٠/٥، وقال: "الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني" يوحنا ٤٤\١٢، وقال: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" يوحنا (٢٤/٥)، ولما دعاه أحدهم صالحًا أجابه قائلا: "ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" متى ١٧/١٩، ومرقس ١٨/١٠، ولوقا 18/19، تلك هي أقوال المسيح عليه السلام تخزي من يتهمه بأنه دعي يوما للتثليث خاصة مع قوله المسلط سيفا على رقاب السائرين على درب الطائفية لا يعون أين يقودهم الطريق: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يُدينه؛ الكلام الذي تكلمت به هو يُدينه في اليوم الأخير" يوحنا ٤٨/١٢؛ فهل من معتبر لينجو قبل فوات الأوان!، وكم من بينة في القرآن الكريم على الوحي؛ يقول العلي القدير: "وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" المائدة ١١٦و١١٧.

وتجمع الكنائس اليوم على القول بأن الله واحد إنما ثلاثة أركان (أقانيم)؛ هي الآب والابن والروح القدس، لكنها تختلف في تحديد طبيعة المسيح، (أولاً) الأرثوذكس: وهم أتباع الكنائس الشرقية (اليونانية)، والكلمة لاتينية تعني: "صحيح العقيدة"، ومقياس الصحة تأليه المسيح واعتبار أركان التثليث متساوية القدر أركانا لذات واحدة، والآب كلمة ساميّة بمعنى الأصل وهو الروح الأعظم وقد تجسد في المسيح، (ثانياً) الكاثوليك: وهم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما، والكلمة لاتينية تعني: "العالمي"، وهم يصرون على اعتبار أركان التثليث ذوات ثلاثة غير متساوية لكنها ترجع لأصل واحد، ويسندون للأب وظيفة خلق العالم والمحافظة عليه وللابن كفارة الذنوب وللروح تحقيق الولادة الروحية بالإيمان

بإلوهية المسيح؛ وعندها يتطهر الإنسان من ذنوبه ويخلص من الخطيئة الموروثة منذ آدم، ومن هنا نشأت فكرة صكوك الغفران التي يمنحها البابا ومن ينيبه من الكهنة باعتباره وريث المسيح والتي أقرها المجمع الثاني عشر المنعقد عام ١٢١٥، (ثالثاً) البروتستانت: وهم منشقون عن الكاثوليك في منتصف القرن السادس عشر، والكلمة إنجليزية تعني: المحتجون، وهم يرفضون الكهنوت وكل ما يتعلق به مثل وساطة الكنيسة في غفران الذنوب وكافة الطقوس الكهنوتية والرهبنة.

وقد أجاز الإصلاحيون البروتستانت قراءة الكتاب المقدس لكل أحد ومنعوا احتكار قراءته وتفسيره على البابا والكهنة وأنكروا سبعة أسفار سموها الأبوكريفا ، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بابوات الكنيسةعدم الإيمان بأسفار السبعة، واعتماد التوراة العبرانية بدلاً من اليونانية عدم الاعتراف بسلطة البابا وحق الغفران وبعض عبادات وطقوس الكنيسة الكاثوليكية كالعشاء الرباني وعبادة الصور وتقديس مريم، وعذاب المطهر، وعموم الأسرار الكنيسة يعتبرون الأعمال الصالحة غير ضرورية للخلاص لكل كنيسة بروتستانتية استقلالها التام يمنع البروتستانت الصلاة بلغة غير مفهومة كالسريانية والقبطية، ويرونها واجبة باللغة التي يفهمها المصلون يمنع البروتستانت التبتل، ويوجبون زواج القسس، إذ يرونه طريقاً لازماً لإصلاح الكنيسةويوافق البروتستانت الكاثوليك في انبثاق الروح القدس من الأب والابن كما يوافقونهم في أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين

---

[١] الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي ص ٢٤،٥٠٦، مسيحية بلا مسيح كامل سعفان ص ٦٦، المسيح في مصادر العقائد المسيحية أحمد عبد الوهاب ص ٦١، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية حسني الأطير ص 92، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح علاء أبو بكر ص ٧٤.

[٢] قائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية حسني الأطير ص ٢٣٠، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون أحمد عبد الوهاب ص ٩١-٩٤، مقارنة بين الأناجيل الأربعة محمد الخولي ص ١٧٨، حول موثوقية الأناجيل والتوراة محمد السعدي منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا ١٤٠٦هـ ص١٧.

[٣] باختصار من مقال (مخطوطات نجع حمادي تكشف عن معلومات مذهلة) للأستاذ أحمد عثمان موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.